الشفاعة

قال تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥].

وقال ﷺ : « اشفعوا تؤجروا » [متفق عليه].

الشفاعة مبدأ رائد ، وخلق ماجد ، وفعل مأجور ، وعمل مبرور ، وسعي مشكور ، يُفَرَّج بها الهم ، ويُنفس بها الكرب ، ويُفكّ بها الأسير ويُحقن بها الدم ، ويُجلب بها المعروف ، ويُدفع بها الأذى .

الشفاعة تنم عن حسن الخلق ، وتنبئ عن كرم الأصل ، وتشهد بصفاء النفس ، وتترجم روعة الإنسانية ، وتعلن التنصُّل من الأنانية . هي الظل الذي يلجأ إليه المضطر ، والحمى الذي يأوي إليه الخائف ، والملاذ الذي يلوذ به الملهوف بعد الله عز وجل .

وقد جرت سنة الله تعالى في البشر أن رفع بعضهم فوق بعضٍ درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخرياً : أي ليسخر بعضُهُم بعضاً في الأعمال ، لاحتياج هذا إلى هذا ؛ فالأحوال متفاوتة ، والأرزاق متباينة، والهبات مختلفة ، والمواهب متغايرة ، والحظوظ متنوعة . ولكن السعادة تكمل ، والغبطة تتم ، إذا ساد خُلق التعاون ، وفشت روح المودة ، وعظمت روابط المحبة ، وقامت سوق الأخوة ، وهبّت نسائم الرحمة ،

وفاح عبير التعاطف . يرفق القوي بالضعيف ، ويجود الغني على الفقير، ويعطف الكبير على الصغير .

وإن هذا الدين بروعته وسموه ، وجلاله وجماله ، وتمامه وكماله ، يقوم على أساسين ، ويعتمد على دعامتين ، وهما : حق الله ، وحق العباد ، فإن الله تعالى بفضله وكرمه وجوده وإحسانه ، ولطفه ورحمته ، وجلاله وعظمته لم يقصر هذا الدين على القيام بحقه جل وعلا فقط ، ولم يجعله لأداء حقوقه ليس إلا ، بل جعل من الدين القيام بحقوق المخلوقين ، ومثلما رتب الأجر وأجزل العطاء لمن أدى حقه وقام بواجبه ، رتَّب الأجر وأعظم العطاء وأسبغ الثواب لمن أدى حقوق عباده وأحسن إليهم وقام بواجبهم .

أوجب الإحسان معه تعالى بأن تعبده كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وأوجب الإحسان إلى عباده بحسن الخلق ، وصدق التعامل ، وبذل النصيحة ، وتفريج الكربة ، وإعانة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، والرفق باليتيم ، واللطف مع السائل ، وإطعام الجائع ، وكسوة العاري ، وإرشاد التائه ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، واتباع الجنازة . . إلى غير ذلك من أخلاق الإسلام الرفيعة ، وآدابه العظيمة . وهذا الانسجام البديع ، والترابط القوي بين الأمر بحقه تعالى ، والأمر بحقوق عباده وترتيب الأجر وإسداء الثواب على هذا ، وذاك يبدو بروعته وجماله في كثير من الآيات وعدد غير قليل من الأحاديث ، انظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

ذكر بعد ذلك صفات المتقين فلم يذكر أنهم الصوّام القوام العباد الزهاد ، وإن كانت تلك من أسمى صفاتهم ، ولكن قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤].

وهذا كله إحسان إلى الخلق ، وقد قدمه على الإحسان مع الخالق جل وعلا ، ثم قال بعد ذلك :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

[آل عمران : ١٣٥]

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » . [رواه الترمذي]

ويقول ﷺ في حديث يتجلى فيه ذلك الرابط القوي ، والمزج الرائع بين حقوق الخالق وحقوق المخلوقين ، يقول : « إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلّل الله وسبّح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، أو أمر بمعروف أونهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة ، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » [رواه مسلم].

وروى ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « ليس من نفس ابن

ادم إلا عليها صدقه في كل يوم طلعت فيه الشمس» ، قيل : يا رسول الله ، ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ قال : «إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتميط الأذى من الطريق ، وتُسمع الأصم ، وتَهْدي الأعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك» .

إن من أعظم التوفيق للعبد أن يوفق مع القيام بحق الله تعالى إلى القيام بحقوق عباد الله ، من السعي في مصالحهم ، والإحسان إليهم، والرفق بهم ، وبذل المال ، وإسداء النصيحة ، والسعي بالشفاعة ، وتنفيس الكرب ، وتفريج الهم.

قال تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء : ١١٤].

وإن هنالك أناساً اختصهم الله تعالى بقضاء حوائج عباده ، والسعي في مصالحهم ، وجعلهم للمعروف أهلاً ، وللإحسان مقصداً حببه إليهم وحببهم إليه ، مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، «إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم فَحَوَّلَها إلى غيرهم» [صحيح الجامع] ، فتلك سُنَّة ماضية ، فمن لم تُنزع منه نُزعت منه بركتها ، وذهب عنه أجرها ، وثبت عليه وزرها . وكما أن للمال زكاة يزيد بها وينمو ، ويعظم ويزكو ، فإن للجاه زكاة أيضاً ، وربما

كان أعظمَ نفعاً من المال ، والبخيل بجاهه أعظم من البخيل بماله ، والجاه نعمة عظمى ، وهبة كبرى تستحق الشكر ، وتستوجب الثناء لمسديها ومعطيها جل وعلا، ومن شُكْرِها بَذْلُها لعباد الله ابتغاء موعوده ، وطمعاً في أجره ، ورغبة في رضاه . والله تعالى كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، محسن يحب الإحسان ، وقد قيل لبعض الحكماء : أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الإله؟ قال : الإحسان إلى الناس ، ولله المثل الأعلى . وقال آخر : اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك ، يحسن لك والدولة عليك ، واجعل زمان رخائك عدةً لزمان بلائك .

في يوم القيامة ؛ يوم القارعة ، يوم الطامة ، يوم الصاخة ، يوم الحسرة يوم التغابن ، يوم الفزع ، يوم الزلزلة ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، يوم تدنو الشمس من العباد قدر ميل ، يوم تعظم الحسرة ، وتفيض العَبرة ، ويعظم الخوف ، ويزداد الجزع ، ويدلهم الخطب ، ويتطاول الهم ، ويشتد الكرب ، هنالك يفرج الهم ، وينفس الكرب لمن كان يفرج هموم المسلمين ، وينفس كربات المكروبين .

« من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن سَتر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان

العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» [متفق عليه]، فالجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» [متفق عليه].

فمن أراد أن يفرّج الله همه، وينفِّس كربه، فليجتهد في تفريج هم المهمومين، وتنفيس كرب المكروبين. واعلموا أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

إن دروب الخير كثيرة، وأنواع البر متعددة، ومجالات الإحسان متنوعة، ومن أعظم ذلك السعي في حوائج المسلمين، والإحسان إلى المؤمنين؛ من إطعام للجائع، وكسوة للعاري، وعيادة للمريض، وتعليم للجاهل، وإنظار للمعسر، وإعانة للعاجز، وإسعاف للمنقطع، وكفالة لليتيم، وتفريج للهم، وتنفيس للكرب، وشفاعة في الخير. ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، وخير الناس أنفعهم للناس.

وقال ﷺ: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن المسلم سروراً، أو تقضي له ديناً، أو تطعمه خبزاً» [صحيح الجامع].

فيجب على المسلم أن يسعى في حاجة إخوانه ، وأن يجتهد في نفع المحتاج ، ومساعدة الضعيف ، ومؤازرة الفقير ، وإغاثة الملهوف . ويجب على كل ذي منصب أو جاه أو قرار ، أن يؤدي حقه خير أداء، وأن يقوم ببذله في وجوهه المشروعة ، وأن يصدق في إعطاء كل ذي حق حقه – وافعلوا الخير لعلكم تفلحون – واشفعوا تؤجروا ، ولكن يجب أن نراعي في شفاعتنا ومساعدتنا عدة أمور منها :

١ – أن يكون ذلك ابتغاء مرضاة الله عز وجل حتى نؤجر عليه ، ولنعلم أن ما قصد به غير وجهه تعالى فهو مردود على صاحبه ، ويكون حسرة وندامة يوم القيامة .

٢ – أن تكون الشفاعة والواسطة في أمر مباح فمن شفع لإنسان في عمل محرم فعليه وزره إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء : ٨٥].

٣ – أن لا تكون الشفاعة والواسطة على حساب الآخرين فتكون شفاعتك للإنسان حرماناً لغيره ممن قد يكون أحق منه .

٤ – أن تشفع لمن تعلم أحقيته بذلك الأمر ، وأن تكون ناصحاً له فإذا شفعت للإنسان وأنت تعلم عدم أهليته وسوء سلوكه ، فقد غششت به البلاد والعباد .

٥ – أن لا تكون الشفاعة فقط لصاحب الجاه أو صاحب المال أو القريب ، بل يجب أن يحظى الفقير والمنقطع والمحتاج والقريب بالشفاعة ،

فهم أحق بها وأهلها وهي فيهم أعظم ، ولهم أولى .

٦ – أن لا يتبع الإنسان شفاعته ومعروفه بالمن والأذى ، فإن ذلك يفسد أجرها ويعكر صفوها .

٧ – أن لا يغضب الشافع ويعنف ويتهم إذا لم تقبل شفاعته ، فقد يحول دون قبولها أمور وأسباب يجهلها ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾ .

[التوبة : ٩١]

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، إنك جواد كريم ،،،

openkandl.com

الهديَّـــــة

هذا الدين بجماله وجلاله ، وشموله وكماله ، وروعته وبهائه ، وعظمته ونقائه ، يحمل في طياته كل معاني الرفعة والسمو ، والتألق والعلو ، عظيم في مبادئه ، قويم في تعامله ، جميل في أوامره ، يقوي أواصر المودة ، ويعمق روابط المحبة ، ويوطد دعائم الأخوة . هنالك أمور يسيرة ، وأعمال متواضعة ، وسلوكيات قد لا يؤبه لها ، دعا إليها الإسلام وحث عليها ، وأمر بها وأثاب ذويه عليها ، فهي وإن كانت يسيرة إلا أنها مثيرة ، وإن بدت قليلة المبنى فهي عظيمة المعنى . لم يترك هذا الدين شاردة ولا واردة ، ولا صغيرة ولا كبيرة مما له أثر في التعامل ، وقيمة في الترابط ، ومنزلة في التلاحم إلا دعا إليه واهتم به .

ومن الأمور التي غفل عنها كثير من الناس – مع أهميتها – ، وجهلها فئام من البشر – مع ضرورتها – « الهدية » فالهدية تفعل في النفس فعل السحر ، وتذهب غوائل الصدر ، وتبعث على المحبة ، وتعمق المودة ، وتقوي الأخوة ، وتطرد البغضاء وتزيل الشحناء ؛ هي دليل على سخاء النفس ، وطيبة القلب ، وروعة الخلق ، ونقاء المعدن وحب الخير ، وإضمار المودة ؛ وتقوي الدعائم ، وتذهب السخائم .

والهدية جنس من أجناس العطايا ، ونوع من أنواع الهبات ، منها ما يكون لاستجلاب المودة ، وكسب المحبة ، ومنها ما يكون لاتقاء الشر ودفع الأذى ، ومنها ما يكون عن حب وإعجاب واحترام وإكبار ، ومنها ما يكون للتزلف والتقرب . وأفضلها موقعاً ، وأحسنها أثراً ، وأعظمها أجراً ما كان عن نيَّة طيِّبة ، وروح خيِّرة ، ونفس مؤمنة ترجو من ورائها كسب رضا المولى جل وعلا ، ثم كسب الأجر وصلة الرحم وتعميق المودة ، وتدعيم المحبة ، وإدخال السرور على النفوس ، وإعمار القلوب بالبهجة ؛ يسترضي بها والداً ، ويستدر بها دعاء والدته ، ويستميل بها قلب الزوجة ، ويستعطف بها الأرحام ، ويستميل بها الأصدقاء ، وينال بها حسن الثناء ، ويقتدي فيها بسيد الأنبياء وإمام الأوفياء .

ورد ذكر الهدية في القرآن الكريم في موضع واحد وذلك في سورة النمل في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ ، قال تعالى :

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل : ٣٦] .

وقد وردت روايات كثيرة وأقوال متعددة في حقيقة تلك الهدية التي بعثت بها ملكة سبأ ، ولكن الذي يفهم من مجموع تلك الروايات أنها كانت هدية عظيمة ، قيل إنها بعثت بخمسمائة غلام وخمسمائة جارية وجعلت في سواعدهم أساور الذهب ، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب ،

وفي آذانهم أقراطاً مرصَّعات بالجواهر ، وحملتهم على ألف دابة ، وبعثت معهم بخمسمائة لَبِنَة من ذهب ، وخمسمائة لبنة من فضة ، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت ، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود إلى آخر ما ذكر من أنواع الهدايا . وقالت لرسولها انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب واستعلاء فاعلم أنه ملك ولا يهولنك منظره فإنا أعز منه ، وإن رأيت الرجل بشّاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب .

وهكذا كانت على درجة من العقل والذكاء – رحمها الله – فهي تعرف ماللهدية من أثر في النفوس وتعلم حب البشر لذلك ، فأرادت أن تفتن هذا النبي بالهدية الثمينة لتتأكد ، هل هو ملك ممن يعجب بالمال ويفرح بالدنيا وتلهيه المباهج ، أم هو سيرفض ذلك كله وتأباه نفسه ويردعه مبدؤه؟ . فلم تَنْطَلِ تلك الحيلة على سليمان وغضب من صنيعهم ، وثار في وجوههم قائلاً ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم**﴾ ما آتاني من الدين والهدى والإيمان وما آتاني من الملك والنعيم العظيم ﴿**بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ هذه سمتكم أنتم أيها الملوك المهتمون بالدنيا ومباهجها ، أنتم الذين تفرحون بالدنيا وتسرون بمباهجها ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ .

[النمل : ٣٧]

وهكذا أصحاب المبادىء العظيمة والأسس القويمة ، لا يبيعون مبادئهم وشعوبهم وعقيدتهم وأوطانهم ، لا يبيعونها ويتخلون عنها

مقابل عطاءات مادية وإغراءات دنيوية ، تزيدهم ضعة إلى ضعتهم ، وهواناً إلى هوانهم . إن العظماء تزيدهم مثل هذه التصرفات الحمقاء ، تزيدهم قوة إلى قوتهم ، وصلابة إلى صلابتهم ، وذلك ما حدث من سليمان عليه السلام ، وما حدث من محمد ﷺ حين عرضت عليه قريش تتويجه بالملك ، وتزويجه بأحسن النساء ، وجعله أغناهم مالاً وأكثرهم ثروة . وذلك ما حدث من كعب بن مالك رضي الله عنه حين حاول النصارى إغراءَه وهو في فتنته بعد غزوة تبوك . وذلك ما فعله السلطان عبد الحميد رحمه الله حين حاول اليهود إغراءه لأخذ جزء من فلسطين وذلك ديدن العظماء على مر العصور . أما زعماء الضلال ، وعظماء البهتان ، والخادعون للشعوب ، فإنهم يتخلون عن مبادئهم ، ويدوسون معتقداتهم ، ويبيعون شعوبهم وأراضيهم ليظفروا بلقمة من فتات الأعداء ، ووسخ من أوساخ الألداء .

ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء : ٨٦] ، فسَّرها بعضهم بالهدية ، والصحيح أن الآية تبقى على ظاهرها ، ولكنها في طياتها ترسي هذا المعنى العظيم وتؤكد هذا الخلق الكريم ، وهو أن الإنسان إذا أعطي شيئاً جميلاً ووهب أمراً محبوباً فمن الأولى والأجمل أن يرد بأحسن منه إن استطاع أو بمثله على الأقل .

أما عن السنة المطهرة فقد كان من أخلاقه ﷺ قبول الهدية والإثابة عليها كما روت عائشة – رضي الله عنها – حيث قالت : « كان رسول

الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها » [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تهادوا تحابوا » .

[إرواء الغليل : ١٦٠١]

ويبين ﷺ أن قيمة الهدية هو فيما تحمله من معنى فهي رمز للمحبة ودليل على المودة ، وليست قيمتها بغلائها أو عظمتها ، فيقول ﷺ : « لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت » [رواه البخاري].

وكان له ﷺ أصحابٌ من البادية فإذا جاؤوه حملوا إليه من هدايا البادية ، وإذا أرادوا الذهاب حملهم ﷺ من هدايا الحاضرة ، وهكذا كان ﷺ بقوله وفعله سبَّاقاً إلى أفعال البر ، مسارعاً إلى أعمال الخير . فالهدية تجلب المحبة ، وتذهب الشحناء ، وتزيل السخيمة .

وما استرضي الغضبان ، ولا استعطف السلطان ، ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ، ولا استميل المحبوب ، ولا توخي المحذور بمثل الهديِّة .

وقديماً قالوا : في نشر المهاداة تزول المعاداة ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

إن الهـــــدية حلـوةٌ ... كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البغيض من الهوى ... حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا ... وة بعد نفرته حبيبا

ومما دفعني إلى الحديث عن هذا الموضوع هو غفلة كثير من الناس عنه مع ماله من الأثر وما يورثه من المحبة ، وينتجه من المودة ، ومن أولى الناس بذلك الأقرب فالأقرب ، وأهمهم جميعاً الوالدان .

فمن الذي قد جعل جزءاً من دخله ، وقليلاً من راتبه يشتري به هدية طيبة يدخل بها السرور على أبيه أو أمه ولو لم يكن ذلك إلا في المناسبات الرسمية والأعياد السنوية؟! . إنك تعجب من كثير من الناس الذين تمر بهم عشرات السنوات ولم يتذكر أحدهم والده أووالدته بهدية جميلة ، وعطية طيبة ، بل تجد الإنسان يصرف على زوجته وأبنائه أموالاً طائلة ثم ينسى والديه اللذين سَهِرا على راحته ، وتعبا في تربيته ، وضحيا بسعادتهما ليسعد ، وشقيا ليرتاح . إن المسألة سهلة يسيرة ليست مكلفة ولا متعبة ، لو أن الإنسان يجعل من راتبه في كل شهر مائة ريال فقط يخصصها للهدايا لوالده ووالدته ، وإخوانه وأخواته ، وخواص أقاربه لكفاهم ذلك ، لأن قيمة الهدية ليست بضخامتها ولا غلائها فهي رمز للمحبة ودليل على المودة .

وقد تعود الناس أن يؤملوا في الإنسان الغائب الذي يقدم من سفر فقد تعارف الناس على أن المسافر لا بد أن يحمل معه الهدايا القيمة ولذلك يقولون : «من طول الغيبات جاء بالغنايم» ، وتقول العرب : إذا قدمت من سفر فاهد ولو حجراً.

يقول أحد الشعراء :

وإذا المســـافـــر آب مـــقلىً مـــفلســـاً
صـــــفـــــر اليـــــدين من الذي رجّـــاه
وخـــــلا من الشيء الذي يهـــــديه للـ
إخـــــــوان عـند لـقـــــــائهم إياه
لم يفـــرحـــوا بقـــدومـــه وتثـــقلوا
بـوروده وتـكـرهـوا لـلـقـــــــــاهُ
وإذا أتاهم قـــــادمـــــاً بهـــــدية
كـــان الســـرور بقـــدر مـــا أهداه

فجميل من الإنسان إذا قدم من سفر أن يحمل معه شيئاً من الهدايا يفرح بها أبناءه ، ويسعد بها أصدقاءه ، ويستدر بها محبة أقربائه .

سلبيات الهدية :

١ – بعض الناس يقدم الرشوة ويغلفها بغلاف الهدية ، وهذا ملعون باذلها وملعون من قبلها .

٢ – من سلبيات الهدية «المِنّة» ، فكثير من الناس إذا أهدى هدية مهما كانت ضعتها يبقى يمتن بها على مرور الأيام . ويروى أن رجلاً أهدى لآخر دجاجة فجعلها حدثاً مهماً ، وتاريخاً بدلاً من التاريخ الهجري ، فكلما أراد أن يتكلم عن شيء أو يذكر حادثة قال : كان ذلك قبل أن أهدي لفلان الدجاجة ، أو فعلت ذلك بعد أن أهديت لفلان الدجاجة! .

٣ – الرداءة : بعض الناس يكون مقتدراً على الهدايا الحسنة والهبات الطيبة ولكنه لا يختار في هديته إلا أردأ الأمور ، بل قد يعمد إلى أشياء عنده عفا عليها الزمن أو تعرضت للتلف فيجعلها هدية بدلاً من رميها ، وقد قال تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران : ٩٢].

٤ – بعض الناس يتكلف الهدايا الباهظة ، والهبات الغالية ، ولكن ليهديها لبعض العظماء والوجهاء ليتقرب إليهم ، ويتزلف لنيل ثقتهم ، وأقرب الناس إليه لا يظفرون منه بشيء . ومن كانت هذه نيته فأجره يأخذه ممن أهدى إليه فقط ، أما عند الله تعالى فلا ، بل قد تكون حسرة وندامة يوم القيامة ، وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .

الغيث

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨].

المطر رسول رحمة، وبشارة خير ، وبهجة قلوب ، وفرحة شعوب.

قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

الماءُ نعمة عظمى ، وهبة كبرى ، هو سر الحياة ، وأساس البقاء . الماء أغلى مفقود ، وأرخص موجود ، مع الماء الخضرةُ والندى ، والطل والرواء، والظل والحياة ، ومع فقدانه الجفاف واليبس ، والخمود والموت . إذا عُدِم الماء زحفت جيوش المجاعة ، ودلفت كتائب القحط وأقبلت أسراب البؤس تذوي الثمار ، وتموت الأشجار ، وتحترق السنابل ، وتذوب الأكباد .

فإذا تدفق الماء ، وأقبلت أمواجه ، أقبل معه البشر والعطاء والنماء والرغد والهناء ، بالماء تقوم الحقول ، وتتكاثر الحبوب ، وتميس الحدائق ، وتهمهم الجداول ، وتتراقص الخمائل ، وتشدو البلابل ، وتتمايل السنابل.

الماء شريان نابض في قلب الأرض ، إذا تعطل ماتت المعمورة ، وفسدت الحياة ، وانطمس الوجود .

الماء نعمة من الله جليلة ، وهبة من الخالق جميلة ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ** ﴾ [الواقعة : ٦٩] ، خَلْق الماء عجيب ، ونبؤه غريب ، صَوَّره ربُّه بلا لون ، وأوجده بلا طعم ، وأنزله بلا رائحة ، خفيف الروح ، بهي الطلعة .

إذا جرى طاب وتجدد شبابه ، وحسنت ثيابه ، وجملت طلعته . وإذا وقف تغيرت رائحته ، وذهبت لذته ، وشاه منظره ، فسفره أحسن من مقامه ، وارتحاله خير من حله ، يستبشر به أهل البادية ، ويتساءل عنه أهل الحاضرة ، إذا سكن ورضي مشى رويداً ، وأتى غدقاً ، متمتماً بحروف الهناء ، وممتزجاً ببشائر السرور ، وإذا غضب تفجر بصيحات الويل ، وصواعق الدمار ، وكوارث الغرق .

يأتي إلى أحبابه فيميس بين الزهور ، ويتجول في الحدائق ، كَيَدِ الطبيب على جفن المريض ، ويقبل إلى أعدائه فيزبد ويرعد ، ولا تمنعه السدود ، ولا ترده الحدود ، فيكسر الجسور ، ويقتلع الصخور ، ويدمر البيوت ، ويجعل عاليها سافلها حتى يأذن الله بسكونه ، ويأمر بهدوئه ، قال تعالى : ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ﴾ [هود : ٤٤] ، فهو جندي من جنود الخالق.

من سيول يمجها الواديان
وثلوجٍ يذيبها العصران
ذو استواءٍ إذا جرى والتواءٍ
هل تأملت مزحف الأفعوان

فـــهـــو حـــيث اســـتـــدار وقفُ لجينٍ
وهـو حـــيـث اســـتـطار ســـيفُ يمان

إن مسته رحمة الله كان لطفاً وهناءً وبركة ، وإن مسه غضب الله كان دماراً وهلاكاً وسخطاً ونكداً ، قال تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف : ٨٤].

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٤٠].

أيها الأحبة المؤمنون .. يرسل الله علينا الغيث ، ويحيي به الأرض بعد موتها ، فهل فكرنا في هذه النعمة فشكرناها حق الشكر وقدرناها حق التقدير؟ هذا الماء الذي نزل من السحاب ، من الذي رفعه في السماء؟ من الذي وضعه على الغبراء فساقه إلى من يشاء، ومنعه عمن يشاء؟ من الذي سطح بحاره وأجرى أنهاره وأطار بخاره ، وأحكم أسراره وأطواره ؟ ، هل تأملنا العظمة الإلهية ، والمعجزة الربانية في نزول المطر؟ يقول جل وعلا : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم : ٢٤] .

فالعاقل يتدبر، والمؤمن يتذكر ، واللبيب يتفكر . لقد حدثنا القرآن عن أسرار المطر وأخباره، فسبق بذلك النظريات العلمية ، والأفكار الأوروبية والشرقية ، فقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن

بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور : ٤٣].

يقول أحد علماء الفلك : « يجدر بنا أن نذكر هذه الآية ضمن المراجع العلمية ، لأنها أول ما عرفنا من حقائق تتعلق بتلك السحب ، ويجب أن نوضح لعلماء الغرب ممن درسوا موضوع السحب وبحثوه ، وبالغوا فيه ، حتى يتبين لهم السبقُ العلمي للقرآن . . » فانظر إلى قدرة الله تعالى التي تمسك بتلك الجبال العظيمة من السحب وهذه الأطنان الهائلة الثقال دون عمد نراها ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد : ١٢].

ويقول تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، انظر إلى جمال الآية وعذوبة ألفاظها ، وتناغم كلماتها ، وإشراق حروفها ، ثم انظر إلى العبرة والمثل والتشبيه في آخر الآية ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ .

وقد ضرب الله تعالى مثلاً لإحياء الموتى وقضية البعث بالماء يرسله إلى الأرض الهامدة ، فيحييها من موات ، ويوجدها من عدم ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم : ٥٠].

ويقول تعالى مشيراً إلى هذه المسألة في آية أخرى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد : ١٧].

إن الله تعالى يسلط حرارة الشمس على المحيطات والبحار فتتبخر فيصعد إلى السماء ماءً عذباً زلالاً لا ملوحة فيه ، فسبحان الله العظيم ، يرفع ماء البحر بخاراً ولا يرفع معه الملح الممتزج به! ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** ﴾ [الواقعة : ٦٩] – أجاجاً يعني : مالحاً لايطاق ولا يشرب – ومن حكمة الله أن هذا البخار المتصاعد في السماء لا يستمر في صعوده إلى القمر أو المريخ فيصب هناك وتحرم منه الأرض ، بل يتكثف في طبقات الجو العالية ، حيث درجة الحرارة منخفضة ، ويرفع في السماء لكي يبتعد عن مستوى الجبال لئلا تعوق انتقاله من بلد إلى بلد ، فبعد أن يتكون السحاب الركامي ، ويتكثف ويتجمع ويصدر أمر الله إليه ، يهبط حيث يريد مولاه ، ويأمره خالقه ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** ﴾ [الروم : ٤٨].

ومن لطف الله تعالى بعباده أن ينزل عليهم هذا الغيث بقدر ، فلو سقطت جبال السحب الكثيفة الهائلة كما هي لهلك الناس .

هذا الذي أنزل سيلاً في البلدْ
فكيف لو صُب جبالاً من بردْ
أنزله رفقاً بنا قَطّارا
وبعضه سخره أنهارا

ومن لطفه تعالى أنه إذا أنزل الماء لم يبق متجمعاً فوق الأرض فتصبح الأرض غير صالحة للسير عليها ، بل سلكه ينابيع في الأرض وحفظه في الآبار والعيون ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر : ٢١].

فهو تعالى يحفظ هذا الماء في صحون من الصخور الجوفية دون أن يغور ويعمق في الأرض ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾ [الملك : ٣٠].

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً ، اللهم رحمتك بالعباد والبلاد يا أرحم الراحمين ،،،

الليل

آيات الله سبحانه وتعالى كثيرة ، ودلائل عظمته عديدة ، وقد دعانا جل وعلا إلى التأمل في الكون وما فيه من عجائب ، والنفس وما فيها من غرائب ، دعانا إلى ذلك لأنه دليل على عظمته ، وشاهد على وحدانيته ، وإعلان بقدرته . ومن آياته العظمى الليل والنهار ، وحديثنا اليوم هو عن الليل .

الليل آية من آيات الله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** ﴾ [الإسراء : ١٢].

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** ﴾ [يونس : ٦٧].

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ [البقرة : ١٦٤].

وقد امتن المولى جل وعلا على عباده بآية الليل ، وأنه لم يجعله سرمداً ، فلو استمرت الحياة على ذلك النسق لما أطاق الناس الحياة ، ولما عرفوا عدد السنين والحساب ، ولما استمتعوا بروعة النهار ، وضياء

الشمس ، ودفء الصباح .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٢].

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٦٧].

الليل حبيب المتيمين ، ومأوى المحبين ، وخلوة الطائعين ، وأنيس الراكعين والساجدين ، وميدان المتهجدين ؛ الليل إعلان الرهبة ، وعنوان السكون ، ومظنة الخشوع ؛ تكثر فيه الآهات ، تحلو فيه العبرات . الوصل لا يلذ إلا في الليل ، والهجر لا يلذع إلا في الليل ، والسرور لا يشع إلا في الليل ، والألم لا يضني إلا في الليل . الليل يفر إليه العاشق بمن يعشق ويخلو فيه المحب بمن يحب . يرخي الليل سدوله فيضم تحت ردائه متناقضات عجيبة ، فمن حزين يتأوه ، ومهموم يتألم ، ومحبٌّ مهجور يشكو طوله ، ومحبٌّ واصل يشكو قصره .

لا أسأل الله تغييراً لما فعلت
نامت وقد أسهرت عينيَّ عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها
والليل أقصر شيء حين ألقاها

وعابد يتهجد يناجي ربه ، وفاجر يستتر بجرمه ، وغريب يبكي غربته ، ورفيق يأنس برفقته ، وشاعر يحبر قصائده ، وعالم يقلب دفاتره ، ومفكر يسجل خواطره . الليل بكى أناس من طوله ، وتبرموا بحلوله ، وتخيل بعضهم أن نجومه شدت بالحبال ، وربطت في الجبال، يقول امرؤ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبل
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ولكن المسلم له مع الليل شأن عجيب ، والمؤمن له من الليل موقف غريب ؛ فهو يترقب قدومه ، وينتظر حلوله ليأنس فيه بلذة المناجاة ، وحلاوة المناداة .

المؤمن يحب الليل ؛ لأنه يقترب فيه من مولاه ، فيرجو ودَّه ورضاه يَصُفُّ فيه أقدامه ، ويشكو فيه آلامه ، ينثر في سكونه دموعه ، ويعلن توبته ورجوعه ؛ إذا نام الناس قام ، وإذا غفلوا أفاق . في الليل تزكو النفوس ، وترقّ القلوب ، وتجود العيون ، وتخشع الأبدان ، ويحلو القرآن وينزل الرحمن ، فهو حبيب المؤمن ، وأنيس الطائع ، وسلوة الخاشع . وقد جعلَ الله تعالى الليل ميداناً لتنافس الطائعين ، وبرهاناً لمحبة المحبين ،

ودليلاً على صدق الموحدين .

فإن تَعَلُّم الإخلاص للمحبوب لا يكون إلا في الليل .

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا
سريرة حبٍّ يوم تبدو السرائر

والله تعالى الذي خلق الليل والنهار ، أعطى الليل ما لم يعط النهار ، وميزه بميزات ، وخصه بمناسبات ، لو لم يكن منها إلا أنه تعالى شرَّفه بأن جعله زمناً لنزوله تعالى إلى السماء الدنيا وكفى بها منقبة ، وحسبك بها محمدة .

يمر الصبا دوماً بساكن ذي الغضا
ويصدع قلبي أن يَهبّ هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما
هوى كلُّ نفس حيث حل حبيبها

وحينما أُسري بمحمد ﷺ في جوف الليل : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء : ١] ، إنما كان ذلك إعلاناً بأن الليل هو زمن اتصال الفناء بالبقاء ، والضعف بالقوة ، والمخلوق بالخالق . وعلم بذلك أن الليل زمن العطاء ، والنماء ، والوفاء ، والرجاء والدعاء .

قال تعالى : ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ**

مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان : ٢٦].

والليل كانت فيه بداية الوحي إلى موسى عليه السلام ، وبداية تكليم الله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٣].

يا حـــار إن الركب قـــد حـــاروا
فـــاذهب تحـــسس لمن النار

تبـــدو وتخـــبـــو إن خـــبت وقـــفـــوا
وإن أضـــــاءت لـهـمُ ســـــاروا

والليل جعله الله زمناً لنجاة أنبيائه من أعدائهم حينما أراد إهلاكهم فقال لموسى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٣].

وقال للوط عليه السلام حينما أراد الله تعالى إهلاك قومه : ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ .

[هود : ٨١]

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُوا بَلْ

جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ .

[الحجر : ٦٥]

والليل فيه أنزل القرآن ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣].

والقرآن الكريم في أغلب آياته يقرن الليل بالنهار . وقد ورد النهار مفرداً في أقل من خمس آيات ، ولكن الليل ورد ذكره مفرداً فيما يقارب أربعين موضعاً ، مما يدل على زيادة شرفه وفضله ، والله أقسم بالنهار مرتين ، وبالليل زهاء سبع مرات .

والحديث مع الليل طويل وطويل ، وجميل وجميل ، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق . وقبل أن نودِّع الليل بسكونه الرهيب ، وظلامه الحالك ، وهيبته العظيمة ، دعني أخي المسلم أنتهز هذه الفرصة فأذكر نفسي وإياك ببعض الآيات والأحاديث العظيمة التي تدل على شرف الليل وأهميته ، وعظمة الأجر لمن عمره بذكر الله ، وصلى فيه طاعة لمولاه .

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩].

وقال تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٤٠].

وقال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات : ١٧].

وقال تعالى : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة : ١٦].

يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال تعالى عن المؤمنين المتقين : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ١٨].

قال الرازي : في الآية إشارة إلى أنهم كانو يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ، فيستغفرون عن التقصير . وهذه سيرة الكريم ، يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ، ويعتذر عن التقصير ، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به .

قال القشيري : « ينزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين، فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم» .

أما الأحاديث فهي العجب العجاب ومنها :

* « ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، فلا يزال

كذلك حتى يضيء الفجر» [رواه مسلم].

* «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» [رواه الترمذي]

وإليك هذا الحديث الرائع، الماتع، العجيب، الغريب، الرهيب:

* «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم:

الذي إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإمَّا أن يُقْتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه.

والذي له امرأة حسنة وفراشٌ لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول الله تعالى: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد.

والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء» [صحيح الترغيب والترهيب].

وقال ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» [رواه أبو داود].

ويقول ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد» [رواه الترمذي].

في مؤتمر أطباء المسلمين الذي عقد بالقاهرة قُدّم بحث عن صلاة

التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقري والكفاءة الوظيفية للقلب بعد سن الستين ، أجري البحث على عينة من ستين رجلاً وامرأةً ، وأظهرت الدراسة أن هناك فروقاً كبيرة بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين ، في درجة مرونة العمود الفقري ، وكذلك في الكفاءة الوظيفية للقلب ، نسأل الله تعالى أن يعمر أيامنا ولياليا بطاعته ، وأن يمنّ علينا بغفرانه ، إنه سميع مجيب ،،،

obeikandl.com

obeikandl.com

العظمـــاء والليـــل

قال تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر : ٩].

والمراد بالذين يعلمون ، العاملون من العلماء ، وكأنه جعل من لا يعمل غير عالم . وفي الآية إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم .

يقول أحد المفسرين : وإنما كان المطيع هو العالم ، لأن العلم هو الذي رسخ في القلب ، وتأصل بعروقه في النفس ، بحيث لا يمكّن صاحبه من مخالفته ، بل مزج باللحم والدم ، فظهر أثره على الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه . وأما المرتسم في حيز التخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه ، فليس بعلم إنما هو أمر تصوري وتخيلٌ عارض لا يلبث أن يزول سريعاً لا يغذي القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع .

فالعلم الحق هو المعرفة ، وإدراك الحق هو : تفتح البصيرة ، وهو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود ، وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن ، ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى ،

ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس . أما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة ، والمشاهدات الظاهرة ، فهم جامعو معلومات ، وليسوا بعلماء .

بعد هذه اللمحة اليسيرة ، والتعريجة السريعة على هذه الآية ، نقف لنتأمل سير بعض العظماء الذين كان لهم مع الليل شأن عظيم. عشقوا الليل وعشقهم الليل ، عمروا الليل فعمر قلوبهم ، وأحبوا الليل فأحيا جذوة الإيمان في نفوسهم .

يجب أن تعرف أن الذين عرفوا لليل أهميته ، وللتهجد قيمته ، فقاموا حتى تورمت أقدامهم ، وشحبت ألوانهم ، هم في الوقت نفسه الذين عمروا النهار بالجهاد والبذل والتضحية ، هم أنفسهم الذين دوّخوا الباطل وزلزلوا الظلم ودمّروا الوثنية .

مضوا يحفرون بدمع القيام
وبذل الدماء طريق الإياب
قومٌ إذا جن الظلام عليهمُ
باتوا هنالك سُجداً وقياما
خُمْص البطون من التعفف ضُمّرا
لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وإن المصطفى ﷺ الذي غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قام حتى تورمت قدماه .

تقول عائشة رضي الله عنها وأرضاها : جاء ﷺ ليلة من الليالي

فقال: «يا عائشة ذريني أتعبد لربي»، قالت: قلت، والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكورا، لقد نزلت عليّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ..﴾.

[الصحيحة: ٦٨]

لما أتتك قم الليل استجبت لها
العين تغفو وأما القلب لم ينم
تمسي تناجي الذي أولاك نعمته
حتى تغلغلت الأورام في القدم
أزيز صدرك في جوف الظلام سرى
ودمع عينك مثل الهاطل العمم
الليل تسهره بالوحي تعمره
وشيَّبتك بهود آية استقم

يقول حذيفةُ بن اليمان رضي الله عنه صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح بالبقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال

سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول « سبحان ربي العظيم » فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال : « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : « سبحان ربي الأعلى » فكان سجوده قريباً من قيامه » [رواه مسلم].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه صليت مع النبي ﷺ ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء ، قيل : وما هممت به ، قال : هممت أن أجلس وأدعه . [متفق عليه] .

ولقد قام ﷺ بآية واحدة حتى أصبح ، وهي قوله تعالى : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة:١١٨] ، على لسان عيسى عليه السلام بعد قوله تعالى : ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [المائدة:١١٩].

وهذا أبو بكر – الرجل البكاء الأسيف كان إذا صلى بالناس لا تكاد تسمع قراءته من كثرة بكائه .

وعمر – ماذا نقول عن عمر؟! – قيل له : ألا تنام يا أمير المؤمنين ، فقال : وكيف أنام؟! إن نمت بالنهار ضيَّعتُ رعيتي ، وإن نمت بالليل ضيَّعتُ حظي مع الله .

كان يصلي بالناس العشاء فيدخل إلى بيته فلا يزال يصلي حتى الفجر في كثير من لياليه .

وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصفه أحد أصحابه بقوله : يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا – ثم يقول للدنيا – إليّ تغررت إليّ تشوفت؟! هيهات هيهات ، غُرِّي غيري ، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، آهِ آهِ من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

وهذا أبو هريرة كان يقسم الليل أثلاثاً ، ثلثاً له ، وثلثاً لزوجه ، وثلثاً لخادمه .

وهذا عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – تقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك : إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاةً وصوماً من عمر ، فأما أن أكون رأيت رجلاً أشد فرقاً وخوفاً من ربه عز وجل من عمر فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى بنفسه في مسجده فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح .

وبكت فاطمة في ليلة من الليالي حتى كاد يذهب بصرها ، فسئلت عن ذلك ، فأخبرتهم عن ليلة من ليالي عمر التي كلما تذكرتها بكت بكاءً شديداً .

تقول : «أتيته ذات ليلة فوجدته قائماً يصلي ، فأتى على هذه الآية ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٤] ، فصاح (واسوء صباحاه!) ثم وثب فسقط فجعل يخور مني ويبكي ، فظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدأ ، فظننت أنه قد مات ، ثم أفاق إفاقة فنادى (واسوء صباحاه) ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول : «يا ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش» ، قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي .

وكان ابن سيرين رحمه الله يتحدث بالنهار ويضحك ، فإذا جاء الليل أخذ في البكاء والعويل .

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع

وكانت إحدى العابدات لا تنام من الليل إلا يسيراً ، فعوتبت في ذلك ، فقالت : كفى بطول الرقدة في القبور رقاداً .

أيها العُذَّال لا تعذلوا إنما العذل لمن يقبل
وأرى ليليَ لا ينقضي طال ليلي والهوى أطول

قالت أم محمد بن المنكدر : يا بنيّ أشتهي أنْ أراك نائماً ! فقال : يا أماه إن الليل لَيَرِدُ عليَّ فيهولني ، فينقضي عني وما قضيتُ منه مأربي .

وَصَاحَبَ رجلٌ رجلاً شهرين فما رآه نائماً ، فقال : مالك لا تنام؟ فقال : إن عجائب القرآن أَطَرْنَ نومي ، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعتُ في أخرى .

وهذا الرَّبيع بن خُثَيم قام ليلة حتى أصبح بآية يرددها ويبكي بكاءً شديداً ، وهي قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ..** ﴾ [الجاثية : ٢١].

يقول سفيان الثوري – رحمه الله – : إن لله ريحاً تسمى الصباحية ، مخزونة تحت العرش ، تهبّ عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار . وقد كان سفيان هذا إذا أراد أن ينام يتقلب كما تتقلب الحبة في المقلى ، فإذا ما غفا قليلاً قام يصيح مذعوراً : النار النار شغلني ذكر النار عن النوم .

قال ابن الجوزي : قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرةٌ كلما هبّ النسيم التهبتْ . ومن صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ؛ قُوَّام الليل قطعت نياق جدِّهم بادية الليل ولم تجد مس التعب ، فالطريق إلى المحبوب يطول .

بدا لها من بعد ما بدا لها
روض الحمى أن تشتكي كلالها
أذكرها مرُّ النسيم سحراً
مراتعاً تفيأتْ ظلالها

تحسبها سكرى وما ذاك بها
وإنما شوق الحمى أمالها

قال علي بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر .

أخي المؤمن لا يفتْكَ حظك من الليل ، ولا تغفل عن عطاء العلي الجليل ، فإن أمامك يومٌ ثقيلٌ ، وخطبٌ جليلٌ ، واعلم أن ناشئة الليل هي أشدُّ وطئاً وأقوم قيلاً ، فاذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً .

يا أيها الراقد كم ترقدُ
قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخذ من الليل وساعاته
حظاً إذا ما هجع الراقدُ

أيها الأحبة انظروا إلى هذه المفارقة العجيبة ، والمباينة الغريبة بينهم وبيننا ، سهروا وسهرنا ، فربحوا وخسرنا ، وقووا وضعفنا ، وعزّوا وذللنا . سهروا طاعةً لله ، وسهرنا على معصية الله ، سهروا يراوحون بين جباههم وأقدامهم ركعاً وسجداً وقياماً ، وسهرنا نراوح بين أصابعنا وأعيننا على أجهزة «الريموت» نطارد القنوات ، ونلتقط التفاهات ، ونبحث عن أرذل المحطات . أولئك كادت تعمى أبصارهم بكاءً من خشية الله ، ونحن كادت تعمى أبصارنا من الشاشات والقنوات .

أولئك بعضهم يحيي الليل إلى الصبح ، ويقطعون ظلمته بالآيات ، ومنا من يحييه إلى الصبح بل إلى الظهر ، ولكن يقضيه بمطاردة الفقرات

وملاحقة القنوات ، والجري وراء السمرات . جلبوا الملائكة لبيوتهم فهربت الشياطين ، وجلبنا الشياطين لبيوتنا فهربت الملائكة . نهارهم جهاد ، وليلهم عباد ، ونهارنا رقاد وليلنا فساد – إلا من رحم الله – فلا حول ولا قوة إلا برب العباد .

بيارق العار باتت تفضح العربا
على منازلهم تستمطر الغضبا
على منازلهم كالجن شاخصة
إلى السماء تبث العار والعطبا
كانت أكُفّ التقى لله ضارعة
تدعو وترجو وكان الدمع منسكبا
واليوم نرفع أفواه الدشوش له
وننثني نلثم الفحشاء والصخبا

obeikandl.com

obeikandl.com

النهـــار

النهار آية من آيات الله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** ﴾ [الإسراء:١٢].

وكما أن الليل سكن ولباس ، فإن النهار بذلٌ وعمل وتضحية وتعب ونصب وكدح وعدوة وجهاد : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** ﴾ [الفرقان : ٤٧] وإذا كان الليل مجالاً لحركة العواطف والمشاعر ، فإن النهار ميدان لحركة الجسم والجوارح .

وإن أولئك العظماء الذين ذكرنا طرفاً من سيرهم وعظمتهم ومواقفهم من الليل حيث كانوا يعمرونه بالطاعة ، ويحيونه بالعبادة هم أنفسهم الذين سجلوا على صفحات الأيام بطولات عظيمةً ، وأمجاداً كريمة ، وأحداثاً هائلة ، ومواقفَ مشرقة ؛ فكم من يوم أضاؤوا فجره بفتح مبين ، ونصر مكين ، وعزٍّ متين . وكم من يوم لمع ضوؤه وهم مبتهلون إلى الله منطرحون بين يديه ، قد هيؤوا أنفسهم وأعدوا عدتهم لإعلانٍ لجهاد ، وفتحٍ لبلاد ، وقمعٍ لفساد ، ونشرٍ لإسلام ، ونصرةٍ لدين ، وبثٍ لعقيدة ، ورحلةٍ لعبادة ، وسياحةٍ في طاعة . وكم من يوم سطعت شمسه وأحدهم

قد تقلّد سيفه ، وسدّد رمحه ، وركب فرسه منطلقاً في سبيل الله ، ساعياً لنيل رضاه ، ومتمنياً لحسن لقاه . وكم من يوم اشتدت حرارته ، والتهبت أرضه ، وعظُم عطشه وبعضهم يمشي بأقدامه الحافية وثيابه البالية ليقود جيشاً أو ينصر مظلوماً أو يرفع ضيماً أو يطلب علماً ، أو يبث نصحاً أو يلتمس رزقاً .

لقد باهت الأيام بأولئك العظماء ، واستبشر النهار بأولئك الأبرار لقد توّج أسلافنا هامة التاريخ بتاج العظمة ، لباس العزة وشعار الكرامة ، وكتبوا على جبين الدهر نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ، وكحلوا أعين الدنيا بروعة الحضارة وحسن العدل وجمال المعاملة .

أيها الأحبة .. وكما أن الليل اشتهر بعدّة ليال فيه لها أهميتها وعظمتها ، و أضيئت ظلمته بنور أحداثٍ ماتعة ومواقف رائعة ، فإن النهار يباهي بأيام عظيمة ، وتذكر فيه مواقف جسيمة ، وإن هنالك أياماً صارت أعلاماً ، وكم من نهار يفاخر بتذكار منذ الجاهلية ، كان هنالك أيام منها : يوم ذي قار ، ومنها يوم الفيل . ثم جاء الإسلام وأتى خير الأنام ، فأشرقت بنور الليالي والأيام ، فهناك يوم بدر ، ويومُ حنين ، ويوم الفتح ، إلى تلك السلسلة المباركة .

وإن في دين الإسلام أياماً مهمة وعظيمة لها شأنها وميدانها وعظمتها وأهميتها ، ومنها يوم الجمعة وهو خير يومٍ طلعت عليه الشمس ، يقول ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه

أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» .

[رواه مسلم: ٨٥٤ ، كتاب الجمعة]

ومن ميزاته أن فيه ساعة تستجاب فيها الدعوة ، وأن من توضأ وأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومن ميزاته الإكثار فيه من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

ومن الأيام المهمة في ديننا يوم عرفة ، وصومه يكفّر السنة الماضية والباقية .

ومن الأيام المهمة يوم عاشوراء ، وصومه يكفّر السنة الماضية .

ومنها يوم الإثنين ، سئل ﷺ عن صوم يوم الإثنين فقال : «ذلك يومٌ ولدت فيه ويومٌ بعثت – أو أنزل عليّ – فيه» [مسلم : ١١٦١] .

ومنها يوم الخميس الذي تعرض فيه الأعمال .

أيها الأحبة هذه أيام عظيمة ، وهي أيام محبوبة إلى النفس ، قريبة من القلب ، يفرح بها المؤمن ، ويؤمل أن يجني فيها خيراً ، ويستبشر بقدومها ، ولكن هنالك يوماً عبوساً قمطريراً ، يرجف له الفؤاد ، وتهتز له النفس ، وترتعد له الفرائص ، كل هذه الأيام إنما هي مطايا إليه ومراحل للسير نحوه ، يوم ليس كأيامنا ، فطوله خمسون ألف سنة ، وحرارته أشد مما هي عليه في الدنيا بأضعاف كثيرة ؛ إذ تدنو الشمس من العباد فيه قدر ميل ، إنه يوم الدين ، إنه يوم تقوم الساعة ، مهما تعبت في أيام

الدنيا وكدحت وعانيت وقاسيت فذلك كله لا يساوي شيئاً مقابل ذلك اليوم وهوله وفزعه وخوفه ، ذلك اليوم لعظمته وفظاعته تعددت أسماؤه ، وكثرت أوصافه ، وقد أحصى بعض العلماء له خمسين اسماً ، ومن أسمائه :

يوم القيامة ، واليوم الآخر ، ويوم الساعة ، ويوم البعث ، ويوم الخروج ويوم القارعة ، ويوم الفصل ، ويوم الدين ، ويوم الصافة ، ويوم الطامة الكبرى ، ويوم الحسرة ، ويوم الغاشية ، ويوم الخلود ، ويوم الحساب ، ويوم الواقعة ، ويوم الوعيد ، ويوم الآزفة ، ويوم الجمع ويوم الحاقة ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، ويوم التغابن ، ويوم العرض.

ومن أوصافه أنه يوم عسير ، ويوم عظيم ، ويوم مشهود ، ويوم عبوس قمطرير .

وقد ورد ذكره في القرآن مئات المرات :

قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٨].

وقال تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٣ – ١٠٨]

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم : ٤٧ – ٥١] .

obeikandl.com

يوم التغابن

أيها الأحبة نواصل حديثنا عن يوم القيامة ، ذلك اليوم الرهيب والموقف العصيب ، فالقلوب قاسية ، والأنفس لاهية ، والأذهان شاردة ، خيّمت على قلوبنا وعقولنا هذه الحياة الدنيا ببهرجها الكاذب ، وبريقها الخادع ، ونعيمها الزائل ، وجمالها الزائف حتى نسينا أن هناك يوماً عبوساً قمطريراً بانتظارنا ، وموقفاً هائلاً عظيماً يترقبنا ، فلو تذكرناه لعملنا للنجاة من هوله ، والأمن من خوفه ، ولكننا نسيناه فنسينا أنفسنا وأهملناه فأهملنا قلوبنا وإيماننا .

الحديث مع هذا اليوم طويل وطويل ، وعظيم وعظيم ، ولكن لنذكر أنفسنا بشيء يسير مما يسمح به المقام ، ويتسع له الوقت : ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٩] .

﴿ **وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الجاثية : ٢٨] .

حينما يأتي ذلك اليوم تنتهي كل هذه الحياة بمباهجها ، فلا حركة ولا دنيا ولا طبيعة ولا جمال ولا متعة . حينما يأتي ذلك اليوم ينفخ في

الصور نفخة هائلة تنهي الحياة في الأرض والسماء : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الزمر : ٦٨] .

إنها نفخةٌ هائلة مُرَّة ، يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء ولا يقدر على العودة إلى أهله وخلانه : ﴿ **مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [يس : ٥٠] .

والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام وقد تهيأ لذلك يقول ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ » قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله، قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا » .

[الصحيحة : ١٠٧٩]

والذي يظهر أن النفخ في الصور يكون مرتين ، الأولى يكون بها الصعق والفناء ، والثانية يكون بها البعث والإحياء : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٨] .

ومشهد البعث مشهد رهيب عجيب ، يقول تعالى عنه : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ [يس : ٥١ - ٥٣] .

وأول من تنشق عنه الأرض هو محمد ﷺ ، يقول ﷺ : « أنا سيد

ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» [مسلم : ٢٢٧٨] .

وفي هذا اليوم يحشر الخلائق جميعاً ، ولذلك سمي يوم الجمع : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة : ٥٠].

وقال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٥] .

ويحشر الناس في هذا اليوم حفاةً عراة غرلاً ، قالت عائشة – رضي الله عنها – يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ، قال : « يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » [مسلم : ٢٨٥٩] فالموقف شديد ، والمقام عظيم ، والهول كبير والفزع خطير ، كيف لا والله تعالى مالك يوم الدين وصفه بأنه عظيم ، فقال تعالى : ﴿ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ .

[الإنسان : ٢٧]

كيف لا وهو اليوم الذي يصاب العباد فيه بالفزع والذهول ، حتى إن المرضع التي تغذي وليدها بنفسها تذهل عنه في ذلك اليوم ، والحامل تسقط حملها ، والناس يكون حالهم كحال السكارى الذين فقدوا عقولهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ

﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : ٢] .

فهو الذي تشخص فيه الأبصار ، وترتفع قلوب الظالمين إلى حناجرهم ، ويشيب فيه الطفل الصغير ، ويتخلى فيه الأب عن ابنه ، والأخ عن أخيه ، والزوجة عن زوجها ، وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، تغيض فيه الأرض ، وتطوى السماء ، وتنسف الجبال ، وتدكّ الأرض ، وتفجر البحار ، وتسجر وتمور السماء ، وتكور الشمس ويخسف القمر ، وتتناثر النجوم : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار : ١ - ٤] .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر : ٦ - ٨] .

والناس في هذا اليوم تختلف أحوالهم وتتباين درجاتهم ، فمنهم الكفار ، ومنهم العصاة المسلمون الموحدون ، ومنهم الأتقياء والصالحون .

أما حال الكفار فهو الذل والهوان ، والحسرة واليأس والخسارة : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٤٢] ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ : ٤٠] .

يقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور : ٣٩]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

وأما حال عصاة المؤمنين الموحدين فهم الذين آمنوا بالله ورسوله ولكنهم عرضوا أنفسهم لذنوب عظيمة ومعاصٍ كبيرة ، فعرضوا أنفسهم لسخط الله تعالى وغضبه عليهم في ذلك اليوم الرهيب القائم ومن أولئك :

الذين لا يؤدون الزكاة : قال ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] » .

[البخاري : ١٤٠٣]

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٥].

المتكبرون : قال ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يوم القيامة في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار

طينة الخبال» [صحيح الجامع : ٨٠٤٠] .

غاصب الأرض : قال ﷺ : «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» [صحيح الجامع : ٥٩٨٣] .

ذو الوجهين : قال ﷺ : «... وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» [مسلم : ٢٥٢٦] .

الحاكم الذي يحتجب عن رعيته : قال ﷺ : «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة» .

[رواه أبو داود والترمذي وحسنّه الأرناؤوط في جامع الأصول ٤ / ٥١ / ٢٠٢٩]

الذي يسأل وله ما يغنيه : قال ﷺ : «من سأل وله مال يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه» ، قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال : «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب» [الصحيحة : ٤٩٩] .

ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم : ومنهم : الأحبار والرهبان والعلماء الذين يكتمون ما عندهم من علم لأمور دنيوية أو أغراض شخصية ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة : ١٧٤] .

ومنهم الذين أخبر عنهم ﷺ بقوله : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا

ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قيل من هم يا رسول الله؟ خابوا وخسروا ، وأعاد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : «المسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنّان» [انظر صحيح الجامع : ٣٠٦٧] .

ومنهم من أخبر عنهم النبي ﷺ بقوله : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : رجل حلف على سلعته لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرىء مسلم ، ورجل منع فضل مائه فيقول الله يوم القيامة : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك» [صحيح الجامع : ٣٠٦٦] .

ومن الذنوب التي توعد الله تعالى عليها بعدم تكليم أصحابها وعدم النظر إليهم وتزكيتهم من أخبر عنهم ﷺ بقوله : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستبكر» [صحيح الجامع : ٣٠٦٩] .

وقوله ﷺ : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث . وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى» [الصحيحة : ٦٧٤] .